وجملة (وإنا فوقهم قاهرون) اعتذار من فرعون للملإ من قومه عن إبطائه باستئصال موسى وقومه أي : هم لا يقدرون أن يفسدوا في البلاد ولا أن يخرجوا عن طاعتي . والقاهر : الغالب بإذلال .

و (فوقهم) مستعمل مجازا في التمكن من الشيء وكلمة (فوقهم) مستعارة لاستطاعة قهرهم لأن الاعتلاء على الشيء أقوى أحوال التمكن من قهره فهي تمثيلية .

وجملة (قال موسى لقومه) واقعة جوابا لقول قومه (إنا إلى ربنا منقلبون) إلى آخرها الذي أجابوا به عن وعيد فرعون فكان موسى معدودا في المحاورة ولذلك نزل كلامه الذي خاطب به قومه منزلة جواب منه لفرعون لأنه في قوة التصريح بقلة الاكتراث بالوعيد وبدفع ذلك بالتوكل على ا .

والتوكل هو جماع قوله (استعينوا با واصبروا) وقد عبر عن ذلك بلفظ التوكل في قوله (وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم با فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين " في سورة يونس فإن حقيقة التوكل أنه طلب نصر ا وتأييده في الأمر الذي يرغب حصوله وذلك داخل في الاستعانة وهو يستلزم الصبر على الضر لاعتقاد أنه زائل بإذن ا .

وخاطب موسى قومه بذلك تطمينا لقلوبهم وتعليما لهم بنصر ا إياهم لأنه علم ذلك بوحي ا إليه .

وجملة (إن الأرض) تذييل وتعليل للأمر بالاستعانة با والصبر أي : افعلوا ذلك لأن حكم الظلم لا يدوم ولأجل هذا المعنى فصلت الجملة .

وقوله (إن الأرض يورثها من يشاء من عباده) كناية عن ترقب زوال استعباد فرعون إياهم قصد منها صرف اليأس عن أنفسهم الناشئ عن مشاهدة قوة فرعون وسلطانه بأن ا الذي خوله ذلك السلطان قادر على نزعه منه لأن ملك الأرض كلها فهو الذي يقدر لمن يشاء ملك شيء منها وهو الذي يقدر نزعه .

فالمراد من الأرض هنا الدنيا لأنه أليق بالتذييل وأقوى في التعليل فهذا إيماء إلى أنهم خارجون من مصر وسيملكون أرضا أخرى .

وجملة (والعاقبة للمتقين) تذييل فيجوز أن تكون الواو اعتراضية أي : عاطفة على ما في قوله (إن الأرض) من معنى التعليل فيكون هذا تعليلا ثانيا للأمر بالاستعانة والصبر وبهذا الاعتبار أوثر العطف بالواو على فصل الجملة مع أن مقتضى التذييل أن تكون مفصولة . في أنهما عاقبتهما فكان) تعالى كقوله وآخره الأمور من أمر نهاية حقيقتها والعاقبة A E

النار) . وقد تقدم ذكرها عند قوله تعالى (قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) في أول سورة الأنعام فإذا عرفت العاقبة باللام كان المراد منها انتهاء أمر الشيء بأحسن من أوله ولعل التعريف فيها من قبيل العلم بالغلبة وذلك لأن كل أحد يود أن يكون آخر أحواله خيرا من أولها لكراهة مفارقة الملائم أو للرغبة في زوال المنافر فلذلك أطلقت العاقبة معرفة على انتهاء الحال بما يسر ويلائم كما قال تعالى (والعاقبة للتقوى) . وفي حديث أبى سفيان قول هرقل (وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة) فلا تطلق المعرفة على عاقبة السوء . فالمراد بالعاقبة هنا عاقبة أمورهم في الحياة الدنيا ليناسب قوله (إن الأرض يورثها من يشاء من عباده) وتشمل عاقبة الخير في الآخرة لأنها أهم ما يلاحظه المؤمنون .

والمتقون : المؤمنون العاملون .

وجيء في جملتي (إن الأرض يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) بلفظين عامين وهما : من يشاء من عباده والمتقين لتكون الجملتان تذييلا للكلام وليحرص السامعون على أن يكونوا من المتقين .

وقد علم من قوله (والعاقبة للمتقين) أن من يشاء ا أن يورثهم الأرض هم المتقون إذا كان في الناس متقون وغيرهم وأن تمليك الأرض لغيرهم إما عارض وإما لاستواء أهل الأرض في عدم التقوى .

(قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون [129]) (قالوا) حكاية جواب قوم موسى إياه فلذلك فصلت جملة القول على طريقة المحاورة وهذا الخبر مستعمل في الشكاية واستئثارتهم موسى ليدعو ربه أن يفرج كربهم